Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون البغدادي: المضمون والمنهج والقيمة النقدية

Muntaha AL-talab min Aš῾ār al-῾Arab to Ibn Maymoun al-Baghdadi: the content and the curriculum and the importance criticism

سعيد صيد said sid
جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي University Larbi ben M'hidi O.E.B
الإيميل: saidsid2018@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-04-23 تاريخ القبول : 2020-02-10

ملخص:

نتناول في هذا البحث كتابا في غاية الأهمية من كتب الاختيارات الشعرية، وهو كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون البغدادي(ت597ه)، والذي لم ير النور إلا في نهاية التسعينيات، رغم أنه واحد من أمهات المصادر الأدبية التراثية.

وقد أظهرت نتائج هذا البحث أن كتاب "منتهى الطلب من أشعار العرب" يعد أضخم مجموع ومستدرك في الشعر العربي القديم، لا غنى لأي باحث في الأدب العربي القديم عنه، كما أبرزت ما يتميز به من قيمة نقدية كبيرة تفرض علينا إعادة النظر في دواوين الشعراء، وحتى في كتب الاختيارات الشعرية السابقة له.

كلمات مفتاحية: منتهى الطلب، ابن ميمون، شعر، المضمون، المنهج، القيمة النقدية.

Abstract:

We turn in this search a book critical of books of poetry, a book choices Muntaha AL-talab min Aš῾ār al-῾Arab to Ibn Maymoun al-Baghdadi notice,T597e), which did not see the light at the end of the 1990s, although it is one of the mothers of the literary sources heritage.

The results of this research showed that the Book Muntaha AL-talab min Aš῾ār al-῾Arab; the largest total in old Arabic poetry, indispensable for any researcher in the old Arab literature, and highlighted what a great value for money, we must reconsider the poetry poets, even in the books of the poetic choices .

Keywords: Muntaha AL-talab; Ibn Maymoun al-Baghdadi ; poetry; the content; the curriculum; the importance criticism.

مقدمة:

للشعر أهميّة كبيرة في حياة العربي، لما يحمله من همومه وتطلعاته، من آلامه وآماله وأحلامه وطموحاته، فهو ديوانه وسجله الحافلٌ بمختلف مناحي حياته، الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية والاقتصادية، وحتى النفسية منها، وقد فرضت كثرته وتراكمه على مرّ الأزمنة والعصور ضرورة اصطفاء الأجود منه لاعتبارات عديدة، خاصّة وأنّ في الشعر الجيّد والحسن، والرديء والفاسد، وهو الأمر الذي فتح المجال أمام الرواة واللغويين والنقاد لتصنيف كتب المختارات الشعرية لأسباب وغايات مختلفة، هذه الكتب التي حملت رؤية هؤلاء المصنفين للشعر، ونظرتهم إلى ما يجب أنْ يتمثله ويعكسه، وما يفترض أنْ يبنى عليه من قيم فنية وجمالية ولغوية مختلفة، كما حملت نظرتهم إلى الحياة وإلى الواقع العربيّ عبر مختلف العصور التي صنفت فيها، وعلى ضوء ذلك ارتأينا البحث في واحد من هذه المصنَّفات التي بقيت مجهولة ردحا كبيرا من الزمن، وهو كتاب "منتهى الطلب من أشعار العرب" لابن ميمون البغدادي.

ومن منطلق الأهمية الكبيرة التي تحضى بها المنتخبات الشعرية عموما، وما يمتاز به هذا المصنَّف خصوصا، من قيمة نقدية متفردة، فإنّ أبرز الإشكاليات التي أثارت فضولنا للإجابة عنها هي: من هو ابن ميمون البغدادي؟ وما الذي قدمه لتراثنا الأدبي والنقدي؟ ما مضمون كتابه : "منتهى الطلب"؟ وما منهجه فيه؟ وفيما تكمن أهميته وقيمته النقدية؟.

2. حياة ابن ميمون وثقافته وآثاره :

1.2. مولده ونشأته:

هو أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون البغدادي، من مواليد 17 محرم 523هـ، وتوفي في 09 جمادى الآخرة 597هـ، ودفن بمقابر قريش[1]، وهو خلاف ما ذهب إليه صالح الضامن في كتابه "قصائد نادرة من شعر منتهى الطلب"، ومحمد نبيل طريفي محقق الكتاب، إذ ذكرا أنّه ولد حوالي 529هـ، وتوفي بعد 589هـ[2]. وابن ميمون مصنف مجهول لم نقف على شيء من أخباره غير ما ذكره الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات بقوله : " أورد له ابن الساعي في ((كتاب لطائف المعاني)) قوله ما يكتب على مرآة: [من الخفيف]

فيّ يا قوم خصلتان أراني بهما الدهر ذات كبرٍ وتيهِ
جلبني الشكر والمحامد للّ ه وصدقي في كلّ ما أحكيهِ"[3]

أو ما ذكره هو عن نفسه في مقدمة كتابه "منتهى الطلب من أشعار العرب"[4]، وقد أتى على ذكره، وذكر كتابه هذا كل من السيوطي في شرح شواهد المغني[5]، والبغدادي في خزانته وفي شرح أبيات المغني[6]، ...وحاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[7]، إلا أنّ هذا الأخير خلط بينه وبين شخص آخر هو علي بن ميمون بن الحسين الفاسي المتوفي سنة 917هـ.

وكل ما يمكن أنْ نفهمه من مقدمة كتابه، أنّه من علماء بغداد في أواخر القرن السادس للهجرة؛ إذ إنّه تتلمذ على يد أبي محمد عبد الله بن الخشاب اللغوي النحوي (ت567هـ)، وأبي الفضل بن ناصر، والشيخ أحمد بن علي المشهور بابن السمين[8]، كما أنّ ما أورده الصفدي يشير إلى أنّه شاعر أيضا، وإنْ لم يكن في مقام شعراء عصره، كما أنّه ناقد وعالم لغة من الطراز الرفيع.

وقد نصّ المؤلف في مقدمته أنّه جمع هذه القصائد كلها في شهور سنتي ثمان وتسع وثمانين وخمسمائة في بغداد، وعمره آنذاك قد تجاوز الستين سنة[9]، واستنادا إلى ما جاء في الوافي بالوفيات فإنّ ابن ميمون قد جمع مادة كتابه وهو ابن 65 و66 سنة على التوالي.

وكان ابن ميمون من محبي الأدب الشغوفين به والمنقبين عنه في كل مكان، وفي ذلك يقول : "كنت مذ نشأت ويفعت مبتلى بهذا الفن ..."[10]، كما كان مولعا بجمع الأشعار، يفتش عنها في مظانّها، حتى أنّه لم يترك ديوانا عرفه أو خزانة كتب إلا اطلع عليها، ونقل منها، فجمع من الشعر ما لم يجمعه أحد قبله.

والقارىء المتأني لقصائد هذا الكتاب ومقطوعاته، يتأكد دون ريب أنّ الرجل "كان ذا بصر وعلم بالشعر وله ذوق في اختياراته"[11].

وقد امتاز ابن ميمون بالدقة والعلمية والضبط؛ إذ كان يتحرى الروايات الصحيحة الجيّدة، ويذكر سندا لكثير من الشّعر الذي قرأه على شيوخه، ومن ذلك ما ذكره في مطلع قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، يقول:"قرأت هذه القصيدة في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة على الشيخ أحمد بن علي بن السمين. ورواها لي عن أبي زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي، عن أبي محمد الحسن بن علي الجوهري، عن أبي عمرو محمد بن العباس ابن حيويه الجزار، عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، عن إبراهيم ابن المنذر الحُزامي، عن الحجاج بن ذي الرقية ابن عبد الرحمن بن كعب بن زهير المزني عن أبيه عن جده عن كعب"[12].

2.2. شيوخه :

لا نعلم لابن ميمون من شيوخ إلا ما ذكره هو نفسه في مقدمة كتابه[13]؛ إذ ذكر أنّه تتلمذ على يدي أبي عبد الله بن أحمد الخشاب الناقد اللغوي(ت567هـ)، وأبي الفضل بن ناصر السلامي(ت550هـ) محدث العراق في عصره، وأحمد ابن علي بن أبي عيسى المعروف بابن السمين(ت560هـ) وهو عالم لغة وأدب وشعر ومحدث مشهور[14].

والظاهر أنّ ابن ميمون قد أخذ عن شيوخه اللغة والأدب، وعلوم الدين من فقه وحديث وقرآن، وغيرها، ونلحظ ذلك في مؤلفه؛ إذ تحرى الدقة والأمانة العلمية في النقل، كما تحرى الرواية الصحيحة، وكان سليم اللغة، جميل العبارة، متسلسل الأفكار، هدفه خدمة لغة القرآن والحفاظ على التراث العربي، والرقي بالأذواق، وكأنّنا به وهو يجمع هذا الشعر الضخم يدعو الشعراء إلى النظم على منوال هذه القصائد، والتخلي عن أساليب الضعف والركاكة التي ما فتئ ينظم عليها الشعراء، وذلك في فترة حرجة من فترات الأدب العربي شهدت ركونا متواصلا نحو الضعف والانحطاط.

3.2. وفاته وآثاره:

توفي ابن ميمون –كما سبق الذكر- في 9جمادى الآخرة 597هـ، ولم يصلنا من مؤلفاته وآثاره التي تركها إلا مصنفه الضخم "منتهى الطلب من أشعار العرب"، وبما أنّ المؤلف في حدّ ذاته مجهول، فلا ندري أترك كتبا أخرى ولم تصلنا ؟ أم أنّ منتهى الطلب هو مصنّفه الوحيد، خاصّة وأنّنا قلبنا عديد كتب الأدب والتراث، ولم يرد فيها إلا ذكر هذا الكتاب.

ولا شك أنّ دراسة كتابه ستكشف لنا الكثير من جوانب شخصية هذا الرجل العظيم والناقد الفذ.

3. كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب:

1.3. وصفه الخارجي ومضمونه:

منتهى الطلب من أشعار العرب، واحد من أبرز وأهمّ كتب الاختيارات الشعرية؛ إذ إنّه يعدّ أضخم مجموع في الشعر العربي القديم، ولم يعرف إلا في فترة متأخرة رغم أهميّته، وجودة الشعر الذي تضمنه وكثرته.

وقد قام محمد نبيل طريفي بتحقيق الكتاب، وطبع أول مرّة عنْ دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1999م، في طبعته الأولى، ثم أعيد طبع الكتاب لكن هذه المرة عن دار المدار الثقافية، بالبليدة، الجزائر، سنة 2011م، وذلك بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

وقد جاءت طبعة دار صادر في تسعة مجلدات، في حين جاءت طبعة دار المدار في خمسة مجلدات ضخمة، ضمّ كل مجلد منها جزأين عدا المجلد الأخير الذي ضمّ جزءا واحدا فقط، ليكون المجموع تسعة أجزاء.

كما حقق محمد مصطفى محمود زهران أيضا الكتاب، فصدرت طبعته الأولى سنة 2008م عن دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، لكنّها كانت طبعة ناقصة، إذ جاءت في مجلد واحد من 800 صفحة، ضمّ مختارات من الكتاب فقط، ولم يشمل كل أجزائه التي وصلتنا في طبعته الأولى سنة 1999م، بتحقيق محمد نبيل طريفي، والتي سبقت الإشارة إليها.

أمّا عن محتواه، فقد صرح به ابن ميمون في مقدمة كتابه، يقول:"هذا كتاب جمعت فيه ألف قصيدة، اخترتها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم، وسميته: منتهى الطلب من أشعار العرب وجعلته عشرة أجزاء، وضمّنت كل جزء منها مائة قصيدة، وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق.."[15].

إلا أنّ المتأمل الثبت في الكتاب من أوله إلى آخره، يجده يحوي أكثر من ذلك بكثير؛ إذ يشمل على مائتين وأربعة وستين(264) شاعرا من شعراء العرب، الذين يستشهد بشعرهم من شعراء جاهليين، ومخضرمين وإسلاميين، وعلى ألف وإحدى وخمسين قصيدة، وتسع وعشرين مقطوعة، في مجموع وصل تسعة وثلاثين ألفا وتسع مائة وتسعين بيتا[16]، بل وصل هذا العدد إلى أربعين ألفا حسب السيوطي[17].

لكنّه وللأسف لم يصلنا من هذا المجموع الضخم إلا نصفه أو أقل؛ إذ وصلتنا 539 قصيدة من مجموع 1051 قصيدة، وهو ما يمثل 51.28 % من قصائد منتهى الطلب، وهو ما يعني أنّ ما يقارب نصف عدد القصائد ما يزال مفقودا، كما وصلتنا 05 مقطوعات من أصل 29 مقطوعة، وهو ما يمثل 17.24 % من مجموع المقطوعات، ويعني ذلك أنّ أغلب المقطوعات أي أكثر من 80 % منها ما يزال مفقودا، وهو ما يحرمنا من مجموع شعريّ كبير ونادر.

2.3. مصادره الشعرية والنقدية،واختيار ابن ميمون منها:

ذكر ابن ميمون الكتب التي كانت مصدرا لمصنفه "منتهى الطلب من أشعار العرب"، وذلك في مقدمة كتابه، وفي ذلك يقول:"... وأدخلت فيها قصائد المفضليات، وقصائد الأصمعي التي اختارها، ونقائض جرير والفرزدق، والقصائد التي ذكرها أبو بكر بن دريد في كتاب له سمّاه: الشوارد، وخير قصائد هذيل، والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات، ولم أخل بذكر أحد من شعراء الجاهلية والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم إلا من لم أقف على مجموع شعره، ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها"[18].

وقد وصلنا من اختيار ابن ميمون من المفضليات 51 قصيدة لـ: 33 شاعرا من مجموع 130 قصيدة لـ: 66 شاعرا ضمّها ديوان المفضليات الذي بين أيدينا، والصادر عن دار المعارف بمصر في

طبعته السادسة، بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون.

أمّا عن الاختيار من الأصمعيات في منتهى الطلب، فقد اختار منها ابن ميمون 13 قصيدة لـ: 13 شاعرا، وهو ما وصلنا من اختيار ابن ميمون منها، وقد اعتمدنا في الدراسة نسخة الأصمعيات الصادرة عن دار المعارف بمصر في طبعتها الثالثة، وبتحقيق الأستاذين: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون.

في حين أن كتاب "نقائض جرير والفرزدق" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، فيظم 90 قصيدة و7 أرجوزات، منها 38 قصيدة، و11 مقطوعة، و7 أرجوزات لجرير، و32 قصيدة، و3 مقطوعات للفرزدق، وقد اختار منها ابن ميمون 32 قصيدة لجرير، و29 أخرى للفرزدق، وكان ذلك في الجزئين الرابع والخامس من منتهى الطلب، وقد اعتمدنا في ذلك على طبعة دار الكتب العلمية، ببيروت، والصادرة عام 1998م في جزأين، بعناية وشرح المستشرق الانجليزي"بيفان" وفهرسة خليل عمران منصور.

وقد استطعنا من خلال منتهى الطلب جمع بعض قصائد كتاب "الشوارد" لابن دريد -والذي ما يزال مفقودا- وذلك من خلال إحصاء كل القصائد التي اختارها ابن ميمون في مصادره الأخرى المعروفة، لتكون بقية القصائد هي قصائد كتاب الشوارد، رغم أنّنا أمام ضياع جزء كبير من منتهى الطلب من جهة، وعدم استطاعتنا الوصول بدقة إلى القصائد التي اختارها المصنف من طبقات فحول الشعراء باعتباره اختار لهم أجود قصائدهم في نظره، كما أنّ ابن سلام لم يختر لشعرائه قصائدا كاملة لنستعين بها في اختيار ابن ميمون من الطبقات، بل إنّه لم يورد قصائدا أو حتى أبياتا لكثير من شعرائه، وإنّما اكتفى بالترجمة لهم، وإبراز مكانتهم الشعرية.

ومن خلال هذا العمل الذي قمنا به، وجدنا أنّ ابن ميمون قد اختار 151 قصيدة ومقطوعة لـ: 62 شاعرا من شعراء الشوارد لابن دريد، وقد وصل مجموع أبياتها 5122 بيتا، وهو ما يمثل ذخيرة شعرية فريدة ضمها هذا الكتاب المفقود.

أمّا الاختيار من ديوان الهذليين في منتهى الطلب، فقد ضمّ قصائدا لـ: 26 شاعرا من شعراء هذيل، وافق قسم منه ما جاء في الديوان الذي بين أيدينا، وهم 17 شاعرا من مجموع 34 شاعرا ضمهم ديوان الهذليين في طبعته التي بين أيدينا، والصادرة عن دار الكتب المصرية في طبعته الثانية 1995م، أمّا الشعراء 09 الباقون، فقد سقطت أسماؤهم وقصائدهم من طبعة الديوان، لكنّهم وافقوا وقصائدهم ما جاء في صنعة السكري، الموسومة بـ "شرح أشعار الهذليين"، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة. وهو الشرح الوحيد للديوان، الذي وصل إلينا.

وقد اختار المصنف 31 قصيدة لـ: 17 شاعرا من شعراء هذيل، وقد وافقت هذه القصائد ما جاء في طبعة ديوان الهذليين التي بين أيدينا، أمّا قصائد الشعراء التسعة الآخرين فقد سقطت من طبعة الديوان، لكنّها وافقت ما جاء في كتاب"شرح أشعار الهذليين" للسكري، كما أنّ عدد أبيات هذه القصائد في منتهى الطلب قد جاء أكثر ممّا هو عليه في ديوان الهذليين، وهو ما يؤكد أهمية منتهى الطلب وقيمته التراثية المتميزة، إذ وبعملية بسيطة نجد أنّ مجموع أبيات هذه القصائد في منتهى الطلب هو 902 بيتا، في حين لم يتعد مجموعها 822 بيتا في ديوان الهذليين، أي أنّ عددها في المنتهى يتجاوز عددها في الديوان بـ: 80 بيتا. كما أنّ مجموع أبيات هذه القصائد التي لم ترد في ديوان الهذليين قد بلغ 456 بيتا، وهو ما يؤكد مرّة تلو أخرى أهمية منتهى الطلب، وقيمته البارزة.

كما انتخب ابن ميمون قصائدا للشعراء الذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في طبقاته، ومن المعلوم أنّ ابن سلام قد ترجم لهؤلاء الشعراء، وأورد لهم بعض الأبيات التي اشتهروا بها، ولم يورد لهم قصائدا إلا نادرا، بل وهناك من لم يذكر له أيّ بيت شعري، وهو ما يعني أنّ ابن ميمون قد انتخب لهؤلاء أجود قصائدهم، ولا يمكننا أنْ نقارن ما انتخبه بما جاء في الطبقات، وهو ما دفعنا إلى البحث عن قصائد هؤلاء الشعراء في منتهى الطلب على أنْ نستثني منها ما جاء في النقائض وديوان هذيل، والمفضليات، والأصمعيات؛ لأنّها من مصادر منتهى الطلب.

وقد خلصنا إلى أنّ ابن ميمون قد اختار قصائدا لـ: 33 شاعرا من شعراء الطبقات الذي يبلغ عددهم 114 شاعرا، أمّا عدد القصائد التي اختارها لهم فقد بلغ 220 قصيدة، ومقطوعتين، وأرجوزة من أربعة أسطر، و4 أبيات مفردة، ليصل مجموع أبيات هذه القصائد والمقطوعات 8473 بيتا، كما أنّنا إذا ذكرنا باقي

الشعراء الذين انتخب لهم قصائدا من شعراء المفضليات والأصمعيات، والذين يعدون أيضا من شعراء الطبقات، وهم 38 شاعرا، فإنّنا نجده قد انتخب شعرا لأغلب شعراء الطبقات (71 شاعرا)، هذا ناهيك عن الأجزاء المفقودة من منتهى الطلب، والتي حالت بيننا وبين إحصاء القصائد المختارة من الطبقات وغيرها من المصادر بدقة.

4. منهج ابن ميمون في منتهى الطلب:

استطاع ابن ميمون في كتابه أنْ يجسّد لنا ذلك الرقي الذهني، والروح العلمي الواعي، والذوق الفني الخالص الذي ميز

عصره، كما استطاع أن يبرز تميّزه عن مصنفي الاختيارات الشعرية الذين سبقوه، فظهر في مؤلفه الضخم ذا حسّ نقدي متميز؛ إذ كشف في كتابه عن عقلية نقدية، وذوق فني صادق قلّ أنْ نجد له نظيرا، وبذلك خرج عمله مبنيّا وفي دقة متناهية.

وقد بين في مقدمة كتابه منهجه فيه، يقول:"هذا كتاب جمعت فيه ألف قصيدة، اخترتها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم، وسمّيته : منتهى الطلب من أشعار العرب وجعلته عشرة أجزاء، وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة، وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق"[19]، فقد فصّل القول في تسمية كتابه وفي عدد القصائد التي أوردها، ثم بين طبيعة أصحابها الذين لم يكونوا إلا أولئك الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم دون غيرهم من الشعراء، وإنْ دل هذا على شيء فإنّما يدل على حسّه النقدي المتميز، من جهة، وعلى انتصاره للقديم وتأثره بثقافة عصره، من جهة أخرى.

والمتمعن في عنوان كتابه الذي اختاره له يدرك تمام الإدراك دقته في انتخابه؛ ذلك أنّه جعله نهاية غاية الإنسان في طلبه للشعر، وهذا يدل على جودة اختياره، من ناحية، وشموليته لكل ما قد يطلبه دارس الشعر، والباحث في طياته وثناياه من خلال ضخامة اختياره، من ناحية أخرى وتنوعه.

وقد بيّن فيما بعد أنّه صنّف كتابه في عشرة أجزاء، تضمن كل جزء منها مائة قصيدة، كما شرح بعض غريب الشعر في هذه القصائد في جانب الأوراق، وهو على الأرجح ضمّن كل جزء من أجزاء كتابه مائة قصيدة ليوازن بين أجزائه، فيجعلها متساوية جميعا في عدد قصائدها، وذلك باعتباره انتخب في المجموع ألف قصيدة.

ثم حدد مصادر كتابه في ترتيب يعكس دقته؛ إذ جعل أولها: المفضليات، وهي أقدم كتب الاختيارات، ثم الأصمعيات، فنقائض جرير والفرزدق، ثم شوارد ابن دريد، فديوان هذيل، ليختم بطبقات ابن سلام.

ويؤكد بعد ذلك أنّه لم يستثن أيّ شاعر من الشعراء الجاهليين والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم، إلا وأتى على ذكره في اختياره اللهم إلا من لم يقف على مجموع شعره، ولم يره في خزانة وقف ولا غيرها، وفي ذلك يقول:"ولم أخلّ بذكر أحد من شعراء الجاهلية والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم إلا من لم أقف على مجموع شعره، ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها"[20].

كما أكد أنّه اختار لكل واحد ممن ذكر أفصح ما قال وأجوده، جاعلا من ذوقه الذاتي وصدقه ديدنه متجاوزا بذلك الأحكام النقديّة المطلقة، يقول:"وإنّما كتبت لكل أحد ممن ذكرت أفصح ما قال وأجوده، حتى لو سبر ذلك علي منتقد بعلم عرف صدق ما قلت"[21].

وأكد أيضا أنّ اختيّاره لهذه القصائد، لم يكن إلا بعد أنْ تجاوز من العمر ستين سنة، ليبرز أنها خلاصة تجربته، بعد أنْ كان منذ نشأته وطيلة شبابه مبتلى بهذا الفن، وشغوفا به حتى أنّه نسخ معظم دواوينها، كما أنّه قرأ كثيرا منها على شيوخه، يقول:"واخترت هذه القصائد وقد جاوزت ستين سنة بعد أنْ كنت منذ نشأت ويفعت مبتلى بهذا الفن حتى أنّي قرأت كثيرا منها على شيخي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله حفظا وعلى شيخي أبي الفضل بن ناصر وغيره ممن لقيته، ونسخت معظم دواوينها"[22].

وأشار بعد ذلك إلى أنّه لم يجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء، وتقديم بعضهم على بعض، لأنّه لم يتفق أنْ يقف على ترتيب معيّن، وإنّما قدّم كعبا بن زهير واستهل به قصائده، وختمها بهاشميات الكميت، وذلك -حسبه- تيمنا وتبركا بمدح النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في قصيدة كعب، وذكره في الهاشميات، يقول:"ولمّا أردت أنْ أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء وتقديم بعضهم على بعض لم يمكنني لأنّه لم يتفق أنّي أقف على ذلك

على ترتيب، فأعذر في ذلك، وإنّما قدمت كعب بن زهير، وختمته بهاشميات الكميت تيمنا وتبركا بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة كعب، وذكره صلى الله عليه وآله في شعر الهاشميات التي ختمت بها هذا الكتاب"[23].

وتقديمه لكعب، وختمه بهاشميات الكميت، إنْ دل على شيء فإنّما يدل على أنّه نحى ما يمكن أنْ نسميه بالمعيار الديني الخلقي؛ إذ إنّه فضل استهلاله قصائد الكتاب برائعة " بانت سعاد "، وما فيها من مدح للمصطفى -صلى الله عليه وسلم- وللمهاجرين والأنصار، وختمه بهاشميات الكميت بن زيد، وما فيها من ذكر للرسول -صلى الله عليه وسلم-، أمّا اختياره لأجود الشعر دون غيره فيدل على نزعته النقدية الجمالية المتمثلة في تذوق الشعر الجيد وانتخابه.

ولا شك أنّ أمانة ابن ميمون العلمية ودقته واضحتان من خلال تأكيده على عدم اعتماده على ترتيب معين للشعراء في منتهاه، وحرصه على تعليل ذلك، وكذا تعليل سبب استهلاله مؤلفه ببانت سعاد، وختمه بهاشميات الكميت بن زيد.

ونراه في الأخير يحدّد السنة التي جمع فيها هذه القصائد بدقة، مع ذكر المدينة التي ألف فيها هذا المصنّف، ثم يؤكد بعد ذلك سعة اطلاعه و بحثه، وكذا أهمية كتابه الذي لم ير من بلغ فيه ما بلغه من الاستكثار والعدد، يقول: "وكان جمعي لهذا الكتاب في شهور سنتي ثمان وتسع وثمانين وخمس مائة بمدينة السلام، ولقد وقفت على كتب كثيرة جمعت من الشعر، فلم أر من بلغ إلى ما بلغت فيه من الاستكثار والعدد"[24]، فهو يشير إلى تلك الكتب الكثيرة التي صنفت في الاختيارات الشعرية بمختلف أنواعها، والتي صنفت قبله، وقد وصلنا منها الكثير، كما ضاع منها عدد غير قليل، ومن هذه الكتب:المفضليات، الأصمعيات، جمهرة أشعار العرب، نقائض جرير والفرزدق، نقائض جرير والفرزدق والأخطل، طبقات فحول الشعراء، ديوان هذيل، الشعر والشعراء، كتب الحماسة، الشوارد، ..... وغيرها، ولم تكن غايته الكثرة والعدد فقط، وإنّما أراد أنْ يلم بكل الشعر الجيد دون استثناء، على أنْ يكون من عصور الاستشهاد، لأنّه مثل كثير من نقاد عصره لا يرى في شعر المولدين شعرا جيّدا يستحق الاختيار والتمثيل، كما كان يسعى للحفاظ على الشعر العربي الجيد الذي يرتقي بالمتلقي، وذلك في ظل تلك الظروف السياسية الصعبة التي ميزت الفترة التي عاش فيها، وكان ذلك كله هو ما جعله يخرج بهذا المصنف الضخم.

ولعمري إنّ هذا لناقد فذ أمين، ذو روح علمية متأصلة، وذوق فني متميز، خاصّة وأنّه كان راوية ثبتا دقيقا كثيرا ما كان يتحرى الروايات الصحيحة الجيدة، كما كان واسع المعرفة وكثير الاطلاع والرواية، إذ كثيرا ما كان يذكر اختلاف الروايات في نسبة بعض الشّعر، ومن ذلك إيراده لقصيدة جران العود التي مطلعها:

[من البسيط]

بانَ الأنيسُ فمَا للقلبِ مَعقولُ ولا عَلى الجيرَة الغادِينَ تعْويلُ

وذكره للخلاف الحاصل حول نسبة هذه القصيدة، إذ نسبها البعض أيضا إلى القحيف الخفاجي، ونسبها البعض الآخر إلى الحكم الحضري، وفي ذلك يقول: "وقال جرّان العود وتروى للقحيف الخفاجي وللحَكم الحضري"[25].

بل وتعدى الأمر به إلى أنْ يورد تعريفا مستفيضا لكثير من شعراء كتابه، تحرى فيه دقة نسبهم، ومن ذلك ما جاء في ذكر جميل بن معمر ونسبه، يقول:"وقال جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن خيبر بن نهيل بن ظبيان وهو من قضاعة بن مرة بن مالك بن حمير بن سباء بن يشجب"[26].

والملاحظ أنّ شرطه في الاختيار كانت القصائد، إلا أنّه قد اختار أحيانا بعض المقطعات لجودتها، ولم يدخلها في القصائد، ومن ذلك ما ذكره في شعر نهشل بن حريّ، يقول: "وقال نهشل يرثي كثير بن الصّلت الكِندي، وكتبتها لجودتها، وهي قطعة ولم أدخلها في القصائد لأنّ شرطي القصائد"[27]، وهلم جرا مع غيره من الشعراء، إذ ضمّ منتهى الطلب 29 مقطوعة أوردها المصنّف لجودتها، ولم يراع فيها شرط القصائد، ولكن لم يصلنا منها سوى 5 مقطوعات، وقد وردت في أجزاء مختلفة من الكتاب.

كما نراه ينبه إلى قضية نقدية متميزة، وهي قضية انتحال الشعر، وذلك حين أشار إلى نحل الرواة قصيدة مالك بن خالد الهذلي السينية لأبي ذؤيب الهذلي، يقول: "وقال مالك بن خالد الهذلي، ثم الخناعي، وتنحلُ أبا ذؤيب"[28].

وممّا تجدر الإشارة في منهج ابن ميمون أيضا النقاط الآتية:

- لاحظنا أنّ ابن ميمون يعتمد في مصنفه على ذكر القصائد المتناسبة من حيث الموضوع الشعري، أو من حيث المعاني الواردة فيها، فقد أورد مثلا قصائد لتوبة بن الحمير في التغزل بمحبوبته ليلى الأخيلية، ثم بعدها مباشرة أورد قصائدا لليلى في رثائها لتوبة، ثم قصائدا لعبد الله بن الحمير في رثاء أخيه توبة، وذلك في الجزء الأول من منتهى الطلب، كما نراه في الجزء السادس يورد قصائد الراعي النميري في هجاء الأخطل، وعندما يفرغ منها يذكر قصائد الأخطل في هجاء الراعي والرد عليه، وهو ما يجعل قصائد الكتاب قائمة على الموضوعات في كثير من الأحيان، ونراه أيضا يربط بين قصائده بطريقة أخرى، إذ يورد مثلا شعر الشنفرى في رثاء تأبط شرا، ثم يأتي بعدها على إيراد قصائد تأبط شرا، وذلك رغم أنّ المصنف ذكر أنّه لم يهتد إلى منهج معيّن في الاختيار.

- اعتمد المصنف إيراد قصائد شعراء قبيلة معينة، ولا يفرغ من ذلك حتى ينهي ما اختاره لهم، ثم ينتقل إلى قبيلة أخرى، إذ لم يفرغ من قبيلة هذيل حتى أورد شعرا لـ: 26 شاعرا منهم، لينتقل بعد ذلك إلى قبيلة أخرى، وكان ذلك ديدنه في أغلب كتابه، وإنْ كنّا نرجع ذلك أساسا إلى كون المصنِّف قد عمد إلى مصادره ليورد أشعار شعرائها واحدا تلو الآخر.

- إنّ معظم القصائد التي انتقاها ابن ميمون، إنْ لم نقل كلها، هي نفسها الواردة في كتب التراث المختلفة كالأغاني والعمدة وغيرها، إلا أنّه أوردها كاملة، وجاءت عند غيره مجرد أبيات فقط.

ونؤاخذ ابن ميمون على تقصيره في جانب مهمّ من منهجه، والذي كان بإمكانه أنْ يسهم في إبراز حسّه النقدي وإيضاحه أكثر، ألا وهو عجزه عن ترتيب شعراء كتابه وفق منهج معيّن، وهو ما صرح به في مقدمته.

ولكنّ هذا الأمر وغيره لا ينقص من شأن ابن ميمون ومقدرته النقدية شيئا، خاصّة وأنّه جمع هذا العدد الضخم من القصائد والشعراء في كتاب واحد، والذي لا شك في أهميته ودوره في تصحيح الكثير من الروايات والدواوين الشعرية مستقبلا، ناهيك من الفائدة العظيمة التي ترجى من هذا الكتاب لدارسي الأدب والنقد العربي القديم وطلابه.

5. قيمة منتهى الطلب وأهميته:

مما لا شك فيه أنّ لمنتهى الطلب أهمية كبيرة، ومتعددة الجوانب، وهو ما لاحظناه أثناء دراستنا له، وما استنتجناه ونحن نتصفح هذا العمل الضخم، وهذا المصنف التراثي الثمين الذي آن الأوان أنْ يملأ الساحة الأدبية والنقدية في وطننا العربي، وقد اهتدينا إلى تفصيل جوانب أهميته المتعددة من خلال هذه العناصر:

1.5. الأهمية اللغوية والأدبية لمنتهى الطلب:

- انفرد هذا المصنف النفيس بذكر كل الشعراء العرب الذين يستشهد بأشعارهم.

- انفراده بإيراد قصائد ومقطوعات نادرة لم تر النور في غيره من كتب التراث الأخرى، ولا حتى في كتب اللغة والتاريخ وغيرها، مما يؤهله ليكون واحدا من أهم المصادر الشعرية في اللغة العربية، ومن أمهات كتب الأدب والنقد، خاصّة مع ما تبين لنا عن منهج ابن ميمون وشخصيته المتميزة بالدقة والتثبت، وتحري السند والرواية الصحيحة للأشعار.

- أنّ منتهى الطلب حفظ لنا قدرا كبيرا بل ضخما من الشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، والشعر الأموي، وهو الذي أتى على كثير منه الإهمال والضياع والنسيان، الأمر الذي يجعل منه مصدرا هاما للباحثين والدارسين.

- ما ضمّه المصنَّف من أشعار لكثير من الشعراء المجهولين الذين لم نجد لهم أي أثر أو ترجمة أو ذكر في غيره من الكتب، بل إنّ من اعتمد على المنتهى من الباحثين المعاصرين عجز عن إيجاد ترجمة لهم في مختلف الكتب والمصادر التي تزخر بها مكتبتنا التراثية العربية، ومنهم : حاتم الضامن، يحي الجبوري، نبيل طريفي...

- اختار ابن ميمون لعبيد بن الأبرص 13 قصيدة مجموع أبياتها 276 بيتا، رغم أنّ ابن سلام الجمحي في طبقاته قال أنّ شعره ذاهبٌ لا يعرف له إلا قوله : [من مجزوء البسيط]

أقفرَ منْ أهْلِهِ ملحُوبُ فالقطبِيَّاتُ فالذنُوبُ[29]

- اختار المصنف بعض القصائد النادرة التي لم نعثر عليها في جميع ما عدنا إليه من مصادر، ومن ذلك قصيدة عمرو بن البراق اللامية، والتي جاءت في 25 بيتا، وقد ذكر ابن ميمون أنّها من المنصفات على قول الأصمعي، يقول: "وقال عمرو بن البراق، وهي إحدى المنصفات، هكذا يقول الأصمعي"[30].

- أورد ابن ميمون قصائدا كاملة، وبمقارنتها مع دواوين الشعراء أو دواوين القبائل وحتى كتب الاختيارات الأخرى كالأصمعيات والمفضليات وغيرها نجد أنّ كثيرا من أبيات هذه القصائد أخلت بها طبعات هذه الدواوين والكتب، فقصيدة سهم بن حنظلة الغنوي على سبيل المثال لا الحصر، وردت في الأصمعيات في 34 بيتا في حين وردت في منتهى الطلب في 67 بيتا، وهو ما يؤكد أهمية المنتهى وما ورد فيه من شعر يصحح الروايات السابقة، وينقح دواوين الشعراء، ويضيف إليها ما يضيف من شعر.

- اختار ابن ميمون قصائدا لشعراء مجهولين لا نجد لهم أثرا في مختلف كتب الأدب والتراث العربي، ومنهم : امرؤ القيس بن جبلة السكوني، وهو واحد من شعراء"الشوارد" لابن دريد المفقود، وقد اختار له ابن ميمون قصيدة لامية من 44 بيتا، وهو ما يؤكد مرة أخرى أهمية منتهى الطلب خاصة وأنّه انتخب قصائدا من كتاب ضائع ومفقود، لم يعثر عليه إلى اليوم.

- تغطية شعر منتهى الطلب لمعظم جوانب حياة العربي المختلفة، ونقله صورة حيّة عن الواقع العربي، ممّا يجعل من هذا المصنف وما ضمه من شعر لسان حال العربي في مختلف الظروف، وفي شتى البيئات والعصور.

- ما ضمّه من لغة نادرة ومتنوعة ومختلفة باعتباره مصنّفا ضخما ضمّ اختيارات لشعراء من مختلف الأرجاء العربيّة، وما يوحي به ذلك من ألفاظ نادرة ولهجات مختلفة.

2.5. الأهمية الفنية لمنتهى الطلب:

لابن ميمون ذوق فني رفيع يتجلى في حسن اختياره وانتخابه لأجود الأشعار، وذلك بغض النظر عن أصحابها وأزمنتهم، وكذا ما ضمه كتابه من كم شعري هائل، وهو ما جعل من مصنفه ذا مكانة متميزة لا يشاركه فيها أيّ كتاب آخر من كتب الاختيارات الشعرية، خاصّة وأنّه جمع معظم ما اختاره سابقيه، وأضاف إليه ما أضاف من شعر نادر وشعراء مجهولين ومشهورين خلت من شعرهم أو من بعض قصائدهم مصنفات سابقيه، وهو ما يفتح الباب أمام المحققين للبحث عن بقية أجزاء الكتاب الضائعة، من جهة، وإعادة تحقيق دواوين الشعراء من جهة أخرى، بل وإنشاء دواوين جديدة من خلال ما ضمّه المنتهى من شعر نادر وشعراء مجهولين.

3.5. الأهمية التربوية لمنتهى الطلب:

إنّ الرجوع إلى منتهى الطلب، وما يضمه من شعر بين طياته مختلف القيم والمبادئ العربية والإسلامية النبيلة هو إعادة لبعث روح القومية العربية، وتعليم الناشئة هذه الأخلاق السامية التي عرف بها العربي حتى وهو في جاهليته، من صيانة للشرف، ومروءة، وشهامة، وبسالة، وكرم، وذود عن الحياض، ودفاع عن العرض والشرف، ونصرة للمظلوم، وإغاثة للهفان، ...وغيرها.

إنّ ما حمله منتهى الطلب بين طياته من معانٍ نبيلة، وقيّم ساميّة، جديرة بالتذكير، وحليّ بنا الأخذ بها، والعودة إليها، لأنّها أساس بناء الفرد والمجتمع، وما اهتمام ابن ميمون بهذا الشعر القديم إلا رغبة منه في حفظه، ونقله إلينا ليكون لنا نعم الغذاء اللغوي والقومي والتربوي، خاصّة وأنّه يمثل جانبا هامّا ومميّزا من تراثنا الأصيل في جاهليته وإسلامه، وسبيلا قويما لتدريب الأجيال على الفصاحة والبلاغة في أرقى وجوهها وأسمى معانيها.

ولا شك أنّنا سنرى أثر المنتهى واضحا عمّا قريب في إنتاجات الجيل الجديد من الباحثين والدّارسين المهتمين بالتراث العربي الأصيل، مع العلم أنّ بذوره الأولى بدأت تظهر من خلال تحقيق بعض الدواوين الشعرية، أو حتى وضع معاجم للشعراء في مختلف العصور، مثلما كان الأمر مع محقق المنتهى محمد نبيل طريفي، إذ أفاد منه في تأليفه ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، كما أشار على أحد طلابه في الدراسات العليا بإعادة تحقيق ديوان النمر بن تولب، .... وغيرها من الدراسات والأبحاث في شتى الأقطار العربية.

وضخامة هذا المصنف من كتب الاختيارات الشعرية لا جدال فيه،كما أنّه كان من مصادر السيوطي في شواهد المغني، والبغدادي في خزانته، وفي شرح أبيات المغني.

أضف إلى ذلك أنّه حفظ لنا جانبا كبيرا من الشعر العربي الذي كان عرضة للضّياع والإهمال والتلف، خاصّة وأنّ المغول مع احتلالهم لمدينة بغداد قد أحرقوا مكتباتها، وألقوا بالأسفار النفيسة في عرض دجلة، فضاع أدب كثير وعلم غزير.

6. خاتمة:

يجدر بنا، ونحن نختم الحديث عن "منتهى الطلب"، الإشارة إلى أهميته الكبيرة، وقيمته العالية؛ إذ إنه بلا شك سيسهم بشكل فعّال في إعادة قراءة الشعر العربي القديم من جديد وإعادة النظر في دواوين الشعراء، خاصّة وأنّ الكثير منها يعتريه التصحيف والنقص، بل وإعادة النظر حتى في كتب الاختيارات السابقة له، كما أنّ دراسة المنتهى بدقة كفيلة بإخراج دواوين لشعراء جدد لم يكن لهم ولا لشعرهم وجود من قبل، وكفيلة أيضا بإماطة اللثام عن كثير من مناحي حياة العرب في شتى جوانبها، ولا شك أنّ النتائج ستكون باهرة لو استطعنا الوصول إلى أجزائه المفقودة.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1- جلال الدين السيوطي: شرح شواهد المغني، المطبعة البهية، مصر، (د. ط)، (د. ت).
2- حاتم صالح الضامن: قصائد نادرة من منتهى الطلب من أشعار العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1: 1983م.
3- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان، (د.ط.ت).
4- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15: 2006م.
5- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت764ه): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1: 2000م.
6- عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093ه): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4: 1997م.
7- عبد القادر بن عمر البغدادي: شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط 2: 1988م.
8- محمد بن سلام الجمحي(ت231ه): طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)
9- محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي (ت597ه): منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1: 1999م.

8.الهوامش:

1. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764ه): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1: 2000م : 270/4.
2. ينظر: حاتم صالح الضامن: قصائد نادرة من منتهى الطلب من أشعار العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1 : 1983م، ص 3 ؛ محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي: منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت لبنان، ط1: 1999م، مقدمة المحقق: 12/1.
3. الصفدي: الوافي بالوفيات: 270/4.
4. ينظر: ابن ميمون: منتهى الطلب: 71،70/1.
5. جلال الدين السيوطي: شرح شواهد المغني المطبعة البهية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، مقدمة المؤلف، ص 3.
6. عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093 ه) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4: 1997م: 22/1؛ شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2: 1988م: 38/1.
7. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت): 1857/2.
8. ينظر: منتهى الطلب: 70/1 – 73.
9. المصدر نفسه: 71،70/1.
10. المصدر نفسه: 70/1.
11. حاتم صالح الضامن: قصائد نادرة، ص 04 .
12. منتهى الطلب: 73/1 .
13. ينظر: المصدر نفسه: 71/1، 70 و73.
14. ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15: 2006م: 67/4، و121/7؛ منتهى الطلب: 73/1.
15. منتهى الطلب: 70/1.

16. ينظر: المصدر نفسه: مقدمة المحقق: 57/1.
17. السيوطي: شرح شواهد المغني، مقدمة الكتاب، ص 3.
18. منتهى الطلب: 70/1.
19. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
20. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
21. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
22. المصدر نفسه: 70/1،71.
23. المصدر نفسه: 71/1.
24. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
25. المصدر نفسه: 30/2.
26. المصدر نفسه: 333/2.
27. المصدر نفسه: 43/8.
28. المصدر نفسه: 264/9.
29. محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت): 139/1.
30. منتهى الطلب: 204/4.